

### ٣ - أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

#### مصطفى باشا الخزينة دار

جركسي الأصل ، اشتراه عزت باشا ، أحد الصدور في زمن  
السلطان محمود الثاني ، ورياه صغيراً في القسطنطينية ، ثم أتى به إلى  
مصر سنة ١٢٥٢ ، فاشتراه كتخذها عباس باشا بن طوسون  
باشا بن محمد علي باشا ، وحظى عنده حظوة عظيمة ، وقدمه على  
سائر مملوكيه ، ولما تولى ابراهيم باشا بن محمد علي على مصر  
سنة ١٢٦٤ استأذن منه عباس باشا في السفر إلى الحج فسافر إلى  
الحجاز وأقسم بأنه لا يعود لمصر مادام عمه والياً عليها ، لوحشة  
وقعت بينهما ، وأخذ المترجم معه ، فلما وصل إلى مكة وأدى فريضة  
الحج وصل إليه البشير بموت عمه ابراهيم باشا ، وتوليته مكانه ،  
وصادف ذلك موت خزينة داره واغاب أغا الموده لى فأقام المترجم  
بده وأعتقه ، ولزمه من ذلك الحين لقب الخزينة دار ، ثم جعله  
رئيساً لمملوكيه ، وأنتم عليه برتبة أميرالاي ، ووظف له ألف دينار  
مصرى في السنة ، وعاد معه إلى مصر ، فكبر شأنه ، وعظمت  
منزلته بين الأمراء ، وأمر ونهى في الولاية ، وحل عند سيده  
بمنزلة كبيرة ، حتى أمر أن يكون أمر المترجم كأمره فأنفذ لا يرد  
في كافة الدواوين ، وكان يقول له انت يا مصطفي مثل أولادى ،  
والمترجم لا يقابل ذلك إلا بالصدق والاخلاص في الخدمة ، والوالى  
يوالى به ، ويزيد في اعزازه ، حتى أمر أن يركب مثل ركوبه  
في موكب بجند وحاشية ، فاستغنى من ذلك وقال : عبدكم يكفيه  
ركوب جنديين يستخدمهما في خدمة أفندينا قبيل منه وأعفاه ،  
وتسامع الناس بذلك فلأمره بعض أخصائه على إيائه هذا الشرف  
العظيم ، فقال له أنتم جهلاء لا تقرأون العواقب ، أما تعلمون أنه  
إذا مات أو غضب على أسلوب هذا الشرف وينحط قدرى بين  
الناس ، أفليس الأولى لى أن أبقى على حالة واحدة لا أغيرها ؟

وكان المترجم ميالاً لفعل الخير يمسى فيه جهده ، يروى أنه  
أنقذ نحو ثلاثمائة شخص من القتل والنفي لنفاذ كلمته عند الوالى ،

بعد العبوس أطله يهجن بها الانتحار ، ويقبحه . ولانى ذاكر لك  
شيئاً من قوله في ذلك ، فاستمع اليه حين يقول : « قد كدت ألحق  
برهط الدم ، من غير الأسف ولا الندم ؛ ولكننا أُرهب قدوى  
على الجبار ، ولم أصلح بخلتى بأبار . وقيل لبعض الحكماء : إن  
فلاناً تلتف حتى تثل نفسه ، وكره أن يمارس بدائع الشرور ،  
وأحب النقلة إلى دار السرور . فقال الحكيم قولاً معناه : أخطأ  
ذلك الشاب المقبل ، له ولأمة يحق الهبل ، هلا صبر على صروف  
الزمان ، فانه لا يشمر علام يقدم ، ولولا حكمة الله حلت قدرته ،  
وأنه حجز الرجل عن الموت<sup>(١)</sup> بالخوف من الماز<sup>(٢)</sup> والقوت ،  
لرغب كل من احتدم غضبه ، وكل عن ضريبة مقضبه أن تترع  
له من الموت كؤوس »

أفرايت في حديث أبي العلاء كيف سلك سبيل الحكماء ،  
وكرر معنى ذكره في لزومياته ، ذلك المعنى هو رهبة ما بعد الموت ،  
وصدها عن ورود حوضه حين يقول :  
لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة

مخشية لاعتراها القوم أفواجا  
وكان من ألفت الدنيا إليه أذى  
يؤمها تاركاً للعيش أمواجاً  
فما هو سر ذلك وما سببه ؟ أكبر الظن أن سر ذلك هو  
وقوع ذكر الانتحار في الرد على رسالة ابن القارح بعد أن انتهى  
حديث الفردوس والجحيم . ولقد نرى أبا العلاء يتطاحن خياله ،  
يل يودعه خياله حين يودع الجنان واليران ، وحين يأخذ في الرد  
على ماجاء في رسالة ابن القارح وما فيها من أشخاص يساجله  
الحديث عنهم ، ويزيد عليه بسطاً في القول ، والمساجلة في  
الشخصيات وفي توارخها ، وفي المذاهب والمقائد أبعاد شتى عن  
الخيال ، وأحوج شئ للمباراة البينة في دلالتها ، والسافرة عن غرضها  
ولكن داننى يمدتنا عن الانتحار وهو في دوره الثاني من  
الطبقة السابعة في جهنم فأعمل خياله في تهجينه ، ووصف عذاب  
المتحجرين وصفاً يبعث في الجلود قشعريرتها ، وفي القلوب هلمها .  
ومرعدنا بالحديث عن ذلك العدد القادم .

محمود احمد الفسوى

أمورها ، نحن ليس عندنا غير عشرين فارساً لحفظ قصور الحرم ،  
فتبين لهم صدقه ، ثم لما أراد سعيد باشا السفر الى دار السلطنة  
لشكر السلطان على توليته على عادة ولاية مصر من بني محمد على مع  
سلاطين آل عثمان وجد خزانة مصر خالية من المال ، فطلب من  
الترجم اقراره خمسين ألف دينار من أموال عباس باشا التي بيده  
فأن وتوقف وقال : إنما أنا أمين عليها ، وصاحبها الهامى باشا  
باستنبول ، ولا يجوز لى التصرف في ماله بغير اذنه ، فتدخل بعض  
الأمراء في الأمر ، حتى رضى باقراره القدر المذكور بشرط أن  
يكتب صكاً به ويوقع عليه ، ففعل وأخذ المال ، ولما حضر الهامى  
باشا من دار السلطنة أعطاه الترجمة الصك وقال له : هذا المال أخذه  
عم أيك ، فان شئت طالبت به ، وان شئت تجاوزت له عنه ،  
فعدت هذه الحادثة من مواقف الترجمة المحمود .

وتقى الترجمة خزينة دارا لالهامى باشا حتى رآه ينفق أمواله  
في غير وجهها ، فنصحه بأنه اذا دام على هذا الحال لا يبقى ولا يذر  
شيئاً مما تركه والده ، وأوصاه بالحزم ، وقال له في عرض كلامه  
ياسيدى أنا لا أنهاك عن الكرم والاحسان الى الفقراء ، ولكنى  
أنهاك عن الامراف والتبذير والانعام على صفار الخدم بهته الجواهر  
والنفائس الثمينة التي تراها في أيديهم كل يوم ، ولما رأى اعراض  
الأمير عنه وتماويه فيما هو فيه استغنى من منصبه وكرم داره التي  
بالتبليطة . ثم بدا له السفر الى دار السلطنة فسافر اليها وعلم  
السلطان عبد المجيد بن محمود بمقدمه فطلبه الى القصر ، ولكنه  
لم يقابله بل أمر أولاده الأمراء مراداً وعبد المجيد ورشادا باكرامه  
فقابلوه ولاطفوه ، ثم قيل له ان في نية السلطان الانعام عليه برتبة  
باشا وأشير عليه بعدم السفر فلم يوفق للاقامة بل سافر بغير اذن  
الى الحجاز ، فخرج وعاد لمصر ، وكان الوالى سعيد باشا أرسل الى كامل  
باشا زوج أخته الأميرة زينب هاتماً أن يراقب الترجمة مدة وجوده  
بدار السلطنة لأنه يوجب من سفره خيفة ، فأعلمه أنه تحقق من أن  
الرجل ليس له مقصد سوى التنزه والسياحة فقط . وأراد سعيد  
باشا حرمه استخدام فشكر ولم يقبل ، ولما تولى اسماعيل باشا على مصر  
أنتم عليه برتبة ميرمان وأمر باستخدامه عضواً في مجلس الأحكام  
فاعتذر عن الاستخدام وقال للرسول ان كنتم تجبروني على الخدمة  
لأجل رتبكم فهالك (فرمانها) أوده لأنفدينا فاقره اسماعيل باشا على  
الرتبة وأعفاه من الخدمة .

وروى أن عباساً باشا غضب مرة على احمد باشا المنكلى ، وكان  
من جلة القواد ، جفاه الناس ، وخصوصاً الأمراء على عادتهم مع من  
ينضب عليهم الولاية ، حتى يبلغ بالواحد انه لا يستطيع المرور أمام  
دورهم ، واتفق ان المنكلى ذهب يوم العيد الى العباسية لقابلة  
الوالى وطلب العفو ، فأتى اعراضاً من الحاشية وبقوراً ، ورآه  
الترجم على هذا الحال فصعب عليه مكانه لما كان يعلمه عنه من علو  
الترتبة عند الولاية السابقين ، فأسرع اليه وأكرمه وأمر له بالقهوة  
واللحان ، وجلس بين يديه متأدياً ، ونمى الخبر لعباس باشا فغضب  
واستدعى الترجمة وومخه على اكرامه رجلاً مفضوباً عليه منه ،  
فتلطف معه وقال له : حلم أفندينا أكبر من كل ذنب ، وهذا  
الرجل تعلمون حسن بلائه في الخدمة ، وقد جرأنى هذا الحلم بأن  
سكنت روعه وأخبرته برضاكم عنه ، وانكم دائماً تذكرونه بالخير  
وتقولون هذا رفيقنا بالشام يوم كنا مع عمنا في المحاربة ، وأفندينا  
أكرم من الأقبيل شفاعة عبده فيه ، فضحك عباس باشا وقال  
لا بأس عليه قد عفوت عنه ، ثم استدعاه فدخل وقبل الأرض من  
شدة فرحه ، ودنا منه حتى قبل قدمه ، فأجلسه وبش في وجهه  
وقال له انت ( ارقداش ) ثم صرفه شاكرآ مسروراً .

ثم لما مات عباس باشا بقى الترجمة خزينة داراً لذاتته زمناً  
قليلاً ، وتولى محمد سعيد باشا على مصر وكان بالاسكندرية فتأخر  
بها خمسة أيام خوفاً من أن تقتاله شيعة عباس باشا اذا حضر الى  
القاهرة ، لما بلغه من أن الأتقي يريد تولية الأمير الهامى باشا بن  
عباس باشا ، فتأخر حتى كتب له الأعيان والأمراء بالطاعة وأرسلوا  
كتابهم اليه ، وفيه توقيع للترجم ، فاطمان وحضر الى القاهرة  
ونزل في قصر شبرا عند أخيه حليم باشا ، فبات عنده ليلة لم يهنأ  
سقطها بنوم ، وأخبر أخاه انه بلغه عن الترجمة ان عنده في العباسية  
خمسمائة فارس بسلاحهم ، وانه يخشى من هجومه بهم على القصر  
فصد اغتياله ، فصرف عنه أخوه هذا الوسواس ، ثم طلب الترجمة  
بعد ذلك الى القلعة وخرج اليه حسن باشا المناستري ، وقال له  
أفندينا يعلم انك رجل عاقل فما هذه الخمسمائة الفارس التي عندك  
بالعباسية ؟ أتحاول أن أحدث بهم أمراً ، أو تجند لك ملكاً ؟  
فقال معاذ الله من ذلك ، إنما أنا عبد من عبيد أفندينا ، وكل  
ما سمعته عنى زور وبهتان من سبي المفسدين ، وبعد ، فهل هذه  
الفرسان في بطن الأرض أو فوق ظهرها ، وكيف خفي عليكم

ماورد الا للسياحة . وأقام بدار السلطنة نحو عشرة أشهر ، ثم سافر منها الى الشام ، ومر بأزمير وتسامع به علماءها فحضر له كبيرهم الى السفينة ، وسأله النزول وألح عليه فقبل ، وأقام عندهم عشرة أشهر أخرى قرأ لهم فيها دياحة الفتوحات المكية . ثم سافر على غير رغبتهم الى الشام ، فلقى من علمائها اكراماً زائداً واحتفالاً كبيراً لاسيما من كبيرهم الشيخ سليم المطار ، وتلقوا عنه بعض رسائل منها تشرح الافلاك في الهيئة ، وفصوص الحكم لابن العربي ، ثم أراد الشخصوص الى بغداد ، ولكنه استصعب السفر اليها برأ لكبر سنه وبدانة جسمه ، فعول على السفر اليها بجرأ ، وأتى مصر بنية السفر منها في البحر الأحمر وخليج فارس الى البصرة ومنها الى بغداد ، فلما وردها أنزله السيد احمد الحسيني شيخ طائفة النحاسين بداره وقام بشؤونه أتم قيام ، وتراخت عزيمته المترجم عن السفر ، وبدا له أن يتخذ القاهرة دار اقامة ماشاء الله تعالى فانتقل الى مكان اكثره بخان الخليلي وأقام به بضع سنوات منكشاً عن العالم مقبلاً على شأنه ، مواظباً على الاقراء والتدريس ، ولم يكن معه غير أحد تلاميذه ، وعلى هذا التلميذ قرأ شيخنا العلامة الشيخ حسن الطويل خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي .

ثم لما كانت ولاية اسماعيل باشا على مصر أجرى على المترجم عشرة دنانير في الشهر تصرف له من الحكومة ، واستصوب أبو بكر راتب باشا ناظر الأوقاف اذ ذاك انتقال الشيخ الى مدرسة محمد بك أبي الذهب التي بجوار الأزهر فانتقل اليها وسكن بها في قاعة الشيخ الصبان الذي كان موقفاً لهذه المدرسة ، وأقام المترجم بها نحو أربع سنوات ، ثم وافته أجله المحترم في ربيع الثاني سنة ١٢٨٧ ، وقد جاوز التسعين ودفن بستان العلماء في مقبرة المجاورين ومات من غير عقب لأنه لم يتزوج في حياته .

وكان ربعة أيضاً اللون واللحية كنها ، كبير الهامة ، بديناً مهيماً اذا سار في الطريق قام له الناس من يمره ومن لا يمره ، حلماً متواضعاً عفيف النفس زاهداً ، مع كمال عقل وحسن فراسة . وكانت له اليد الطولى في كافة العلوم ، وكان الشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر يعرف له قدره ، ويؤروه بمدرسة محمد بك . ولما مات الشيخ الباجوري وبق الأزهر بلا شيخ اكتفاء بالكلاء ، ولهج الناس بضرورة اقامة شيخ قال الشيخ الأنحوني لو استشرت في ذلك مارضيت بسوى الشيخ محمد أكرم ، فانه رجل له جانب مع الله ، وبلغ المترجم قوله فتبسم وقال مالي وازهرهم ، لو عرضوا على ولاية مصر ما قبلتها ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

ويق بمد ذلك في داره وينتقل قارة الى ضياعه يراقبها وينفق من غلتها حتى وافته أجله فمات محمود السيرة عف السريرة قليل الشاكين كثير الشاكرين لا يقطع فرضاً ولا يقصر عن نافلة مع احسان للفقراء وسعة في النفقة من غير تقتير ولا اسراف ، وخلف ثروة واسعة وأموالاً طائلة من غير عقب لأنه لم يتزوج في عمره إلا بنت راغب أغا سلفه في الخزينة دارية ، وكان الهامى باشا أراد أن يزوجهما لشكيب باشا مدير ديوان الأراضى الأميرية فلم تقبله واختارت المترجم فتزوجها وانتقل الى دارها فأقام معها نحو ثلاثة أعوام ثم فارقها بكرالم بين بها رحمه الله تعالى .

## الشيخ محمد أكرم الأفغانى

هو الشيخ الأجل ، والعالم العامل ، القدوة الورع ، زليل القاهرة أصله من القبيلة الافردية النازلة في مضيق جبل حيدر المشهور الآن ببجبل خبير الفاصل بين الهند وبلاد الافغان ، ولد ونشأ به ، ثم رحل الى الهند لطلب العلم وهو في الحادية والعشرين ، فورد لكهنوه وهي حافلة بالعلماء ، فقرأ العريضة والمنطق والحكمة والمقائد والتصوف والفقه الحنفي والطب والرياضيات على الطريقة القديمة حتى صار من النحول المشار اليهم مع العفة والتقوى والتشدد في الدين . ثم سأل في أغلب بلاد الهند وجعل أكثر اقامته في لكهنوه ، ثم بدا له السفر الى الحجاز لقضاء فريضة الحج فسافر اليه حوال سنة ١٢٧٢ وبعد قضاء الناسك ورد على مصر ووزل بالأزهر برواق الافغانية المشهور برواق السليمانية ، فاجتمع به هناك جلة العلماء مثل الشيخ حسين الرضى وغيره ، وبلغ خبره محمداً افندى الافغانى المشهور بالكشميرجى تاجر المطارف الكشميرية بجوار خان الخليلي فاجتمع به وصوب له الانتقال الى مكان فوق خانوته فاكترى به محلاً وانتقل اليه وأقام به نحو تسعة أشهر ، وتسامع به الأكابر مثل حسن باشا المنسترلى كتحدا مصر واسماعيل باشا عاصم ، فسماوا اليه وزاروه ، وبلغ خبره الأمير احمد باشا رفعت ابن ابراهيم باشا والى مصر من محمد افندى الافغانى فاشتاقر رؤيته ، الا أنه كان على قدم السفر الى ضيعة له فأرسل له خمسة وعشرين ديناراً حياه بها .

ثم سافر المترجم الى دار السلطنة واجتمع هناك بمبارف حكمت بك التى كان شيخاً للاسلام وبغيره من العلماء ، فظن عارف بك أن مجيئه لطلب منصب على أو فتح ( تكية ) أو نوال صلة ، وسأله عن ذلك ووعدته بالمساعدة فمره المترجم حقيقة أمره ، وانه